

نَزَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

رسالة المسجد

السنة السادسة - العدد الثالث - ربيع الأول 1429 هـ / مارس 2008 م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

خطاب فخامة السيد رئيس الجمهورية

عبد العزيز بوتفليقة

بمناسبة شهر نصره الرسول ﷺ

خفقان قلوب المحبين
بميلاد النبي المصطفى الأمين ﷺ

الاحتفال بالمولد النبوي
بين البدعية والشرعية

نبي محمود
وأمة محسودة



ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الشعالي

رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

إدارة التحرير

المدير العام مسؤول النشر

الدكتور **بوعبد الله غلام الله**
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

رئيس التحرير: الدكتور محمد عيسى، مدير التوجيه الديني والتعليم القرآني.
مستشار المدير العام: الأستاذ حمزة يدوغي، المستشار الثقافي للسيد الوزير.
أمانة التحرير: الأستاذة منية سليم، رئيسة مكتب الأحاديث الدينية ونشرات التوجيه.

هيئة التحرير

- ✽ أ.د. عبد الله بوخلخال، مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة
- ✽ أ.د. عمار مساعدي، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر
- ✽ د. محمد زعراط، عميد كلية العلوم الاجتماعية والحضارة الإسلامية، وهران
- ✽ أ.د. عمار طالبي، باحث جامعي، رئيس المجلس العلمي لولاية الجزائر
- ✽ أ.د. عبد القادر خياطي، مستشار السيد الوزير
- ✽ د. يوسف بلمهدي مستشار السيد الوزير
- ✽ د. عبد القادر فضيل، مدير مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية
- ✽ أ.د. موسى لقبال، باحث جامعي
- ✽ د. مصطفى باجو، باحث جامعي
- ✽ أ. عبد العزيز راس مال، مدير الثقافة الإسلامية
- ✽ د. محمد حمداوي، مدير المركز الثقافي الإسلامي
- ✽ أ. يحيى دوري، المدير الفرعي للتوجيه الديني والنشاط المسجدي
- ✽ د. محمد أو إدير مشنان، المدير الفرعي للتعليم القرآني



محتويات العدد

الافتتاحية	3
السيد الوزير	
كلمة فخامة رئيس الجمهورية بمناسبة افتتاح الأسبوع الوطني	6
خفقان قلوب المحبين بميلاد النبي المصطفى الأمين ﷺ	17
الأستاذ المبروك زيد الخير	
الاحتفال بالمولد النبوي بين البدعية والشرعية	27
الأستاذ محمد بن زعمية	
نبي محمود وأمة محسودة	42
الأستاذ الذواودي قوميدي	
كيف نشأ الاحتفال بالمولد في بلاد الإسلام	64
العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله	
دراسة السيرة النبوية الشريفة بين الواقع والمأمول	72
الأستاذ أحمد بن سالم	
حوار حول المولد مع السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف	82
أجرت الحوار الأستاذة منية سليم	
خطبة العدد - كيف ننصر رسول الله ﷺ	93
الأستاذ جمال ناصري	

في رحاب القرآن المجيد *

فخامة السيد عبد العزيز بوتفليقة

رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

حضرات السادة والسيدات،

مرحبا بكم في رحاب القرآن الكريم في الأسبوع التاسع من سلسلة أسابيع القرآن، كتاب الله العزيز التي أسسها ورعاها فخامة السيد رئيس الجمهورية، وداوم على حضورها ورعايتها شخصياً كل سنة في شهر ربيع الأنوار، شهر مولد رسول الله ﷺ.

فخامة الرئيس،

إن البهجة لجمالاً لعل قلوب مشائخ القرآن ومعلميه وهم يحضون بهذا اللقاء الذي تخصصهم به على مائدة القرآن، تكريماً لكتاب الله وتثميناً للجهود الذي يبذلونه في تحفيظه للنشئة ونشره بين المتعلمين، وتقريبه من الأفهام وتوجيه الأمة إلى الأخذ بأحكامه في تصرفاتهم ومعاملاتهم، فقد كان القرآن منطلقهم في مصاحبة دعوتكم - فخامة الرئيس - إلى الوثام المدني كما كان القرآن مرجعهم في شرحهم لدواعي ومنافع المصالحة الوطنية؛ وما فتى القرآن معتمدتهم في توجيه الشباب إلى محبة الله والوطن وحثه على المساهمة في الجهد الوطني العام، إن في تثمين العمل وترقية الإنتاج أو في تقويم السلوك العام واجتناب ما حرم الله من الآثام وتحذيرهم من مخاطرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

فقد حذروا من الغلو والتطرف بشواهد القرآن، وأكدوا مفهوم وحدة الأمة كما أكدت آيات القرآن البينات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

* كلمة معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف في مفتتح الأسبوع الوطني التاسع للقرآن الكريم.

لَتَعَارَفُوا إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَنْفَكُمْ (الحجرات: ١٣).

واستشهدوا بسنة رسول الله ﷺ التي جاءت مبينة وشارحة لمعاني القرآن، من ذلك قوله ﷺ: "اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة".

لخامة الرئيس،

لقد قطعنا بفضل رعايتكم وعنايتكم شوطاً كبيراً في نشر القرآن بين الشباب المتعلمين، فقد خلت تلك الأيام التي كنا لا نجد فيها من يؤدي من حفظه صلاة التراويح في بعض مساجدنا المنتشرة عبر الوطن، فأصبحنا بفضل الله وبفضل توجيهاتكم نوفر أعداد إضافية نوفدها إلى أرض الدعوة لعمارة المساجد في رمضان، بإقامة الصلاة وإرشاد الناس.

هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنه الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فليج، ومن أقسم به أقسط، ومن عمل به أجز، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

إنه الصراط المستقيم والمثل الأعلى الذي يجب أن ترنو إليه الإنسانية اليوم لكي تفيق من غفوتها وتحرر من غوايتها؛ إن المجتمع الإنساني المعاصر الذي أصبح تملك ناصية العلم والتكنولوجيا لم يعد يثق في المستقبل، وأمسى يشعر بالخوف بسبب إحساسه الغامض بأنه مقبل على الهاوية... وما ذلك إلا بسبب أنه لا يطمئن إلى سلامة الأسس التي يقف عليها، وهو يتوجس خيفة من المجهول الذي لا يدري كيف يواجهه، ولم تزد القوة المادية إلا امتهاها لقيمة الإنسان... هذا الإنسان الذي قدمه القرآن على الملائكة وشرفه بالذكر مرتين في أول آية نزلت من القرآن حيث ذكر نشأته وتعليمه... ثم حمّله الأمانة.

إنها أمانة الله حمّلها لعبده في تصريف شؤون خلقه، وقد حررها من قيود البشر مادامت لا تدعن إلا لأمر الله الذي أمر أن يكون الحق هو أساس الحكم مشفوعاً بالعدل والإحسان، قاعدة ذلك كله قوة الإيمان بالله وصحة التوكل عليه، هذا الإيمان الكامل

الذي فلق البحر لنبي الله موسى عليه السلام، ونجى محمداً وصاحبه (إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه (لا تحزن إن الله معنا) ومن كان الله معه لا يمكن أن يشبهه عن المضي في استكمال رسالته، لا عدوان المعتدين ولا نزوات المنافسين.

فخامة السيد رئيس الجمهورية،

لقد تنورت مساجدنا وحتى بعض ساحاتنا بأنوار المصطفى ﷺ في هذا الشهر المبارك - وكنا قبل ذلك قد استمعنا - بفضل رعايتكم إلى محاضرات في الإعجاز العلمي للقرآن، هذا الكتاب الذي ما فتى الزمان يكشف الغطاء عن بعض أسرارهِ ويجلي شينا من مخفياتهِ، ويرينا عدداً من آياته في أنفسنا وفي الآفاق، لكن الإنسانية لما تدرك بعد أنه الحق ... بل لقد تخاطروا عليه بالتحريف والتشويه وتنادوا على نبيه المعصوم بالاستهزاء والتجريح؛ ولكن هيهات أن يصيبوا ما تكفل الله بحفظه وسلامته، أو أن ينالوا من شرفه الله ورفع ذكره.

إن البحث في اتجاه الإعجاز العلمي أمر جميل ... أو هو على الأصح شرط، ولكنه شرط غير كاف، فالمتعين على العلماء والباحثين أن يجدوا ويجهتدوا في اكتشاف المعجزة الكبرى للقرآن الكريم، المعجزة التي تفعل فعلها في عقل الأمة وضميرها مثل الذي فعلته في عقول الصحابة وضمائرهم، حتى تغير ما بنفس الأمة وتخرجها من الظلمات إلى النور، من الضعف إلى القوة ومن العجز إلى النصر وحتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

فخامة السيد رئيس الجمهورية،

إنه أسبوع القرآن الكريم ... وأهل القرآن كلهم آذان صاغية لإرشادكم وتوجيهاتكم، ففضلوا مشكورين غير مأمورين.

الدكتور بوعبدالله غلام الله

وزير الشؤون الدينية والأوقاف

كلمة فخامة السيّد رئيس الجمهورية بمناسبة افتتاح الأسبوع الوطني التاسع للقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين أيتها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل،

يسعدني أن أحضر معكم افتتاح أعمال هذا الملتقى القرآني المبارك الذي يعقد ونحن ما نزال نتنسم بركات شهر ربيع الأول الذي ولدت فيه البشرية من جديد بميلاد المصطفى المبعوث رحمة للعالمين صلى الله وملائكته عليه وسلموا تسليما.

ليس هناك من شك في أن السيرة الإنسانية للرسول ﷺ بحر لا ساحل له ؛ فهو صلوات الله وسلامه عليه، القدوة الحسنة للإنسان في كل زمان ومكان، أهله ربه سبحانه ليكون النموذج الأرقى والمثال الأكمل، ويظل على مر الدهور والعصور المرجعية المشرقة لجميع بني البشر على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم، يقتبسون من سيرته الإنسانية ما يناسب حياتهم، فيزدادون توقيرا له وتعظيما ؛ كما يزدادون اهتداء واستقامة، و تمسكا بسنته ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: ٢١.

فما أحوج البشرية اليوم، كل البشرية، إلى الاقتداء بالسيرة الإنسانية لمحمد بن عبد الله ﷺ ليسود العالم الأمن والأمان والسلام والوئام وتتجذر فيه مبادئ العدل والحرية والحوار والتعاون في إطار الوحدة الإنسانية الجامعة فما من شك في أن هذه الحاجة تزداد إلحاحا إذا أمعنا النظر في الوضع الحضاري العام الذي يشهده العالم

اليوم، هذا الوضع الذي يجعل الإنسان المتبصر الواعي ينظر إلى مستقبل البشرية بعين التوجس خوفا مما يكتنف هذا المستقبل من غموض، بالنظر إلى التناقضات التي أفرزها الظرف الحضاري الأخير بصفة خاصة؛ تناقضات من شأنها أن تحول -لا قدر الله-، نعمة التقدم التكنولوجي المذهل إلى نقمة على الإنسان، إذا لم يواكب العلوم التكنولوجية والكشوف العلمية الفكر الراشد والضمير الحر والوازع الديني الصادق لأن هذه الوثبة العلمية الجبارة والقوة العظيمة التي حققها الإنسان عندما تُعرض عن وحي السماء وتتمرد على وازع العقل قد يدفعها الغرور إلى التجبر والطغيان والفساد في الأرض.

فلا مناص إذن من أن يجدد إنسان هذا العصر صلته بوحي السماء، وأن يتبع هدي النعمة المسداة والرحمة المهداة ﷺ .

أيها السادة الأفاضل،

أيتها السيدات الفضليات،

إنها لمناسبة كريمة نغتنمها لنبرز فيها للجيل الناشئ حقيقة تاريخية كبيرة نعتز بها أئما اعتزاز، وهي أن المجتمع الجزائري معروف بحبه للرسول ﷺ، هذا الحب الذي غمر قلوب أبنائه وبناته منذ الخطوات الأولى للرسالة المحمدية، عندما أنارت ربوع الجزائر بنور هدايتها، ولقد أثمر هذا الحب ثرائنا زكيا يتمثل الجانب الأعظم منه في المدائح التي نظمها الشعراء الجزائريون، في مختلف الأجيال والعصور، في التغني بشمائله ﷺ و في مناجاته والتوسل به عند ربه ؛ فكانوا بذلك كله خير من صور هذا الحب الذي تغلغل في النفوس وتجلت ثماره في السلوك الفردي والجماعي وانعكست آثاره في المعجم اللفظي المتداول في المواسم والأعياد وفي تقاليد الأسرة الجزائرية وعاداتها عموما.

إن هؤلاء المبدعين الذين عبروا بصدق عن هذا الحب المتأجج للمصطفى ﷺ كانوا يمثلون ضمير المجتمع وعنوان ذاكرته وما تحويه من مخزون شريف يعكس

سلامة فطرته و صفاء وجدانه؛ و قدوة هؤلاء الشعراء جميعا في ذلك كله هم علماء الجزائر الربانيون الملهمون؛ أولئك العارفون بالله المحبون لرسول الله ﷺ، الذين كانوا يصوغون ما يرد عليهم من النفعات الإلهية والإشراقات والإشارات في قوالب شعرية يتناقلها الناس جيلا بعد جيل، فتتناهى من خلال القرون تثير كوامن من الوجدان وتحرك سواكن الأشجان.

و لا عجب في ذلك كله، فالمؤمن الحق يعلم علم اليقين أن الرسول ﷺ ينبغي أن يكون أحب إليه من نفسه و أهله و ماله و الناس أجمعين، كما ينبغي أن يكون هو اه تبع لما جاء به ﷺ، و الذي هو ثمرة الاتباع الكامل لله سبحانه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١.

و معلوم أن الذي يزيد هذا الحب وينميّه إنما هو التعرف على كمال ذاته ﷺ، و تميزه بصفاته و تفردّه بأخلاقه و شمائله.

أيها السادة الأفاضل،

أيتها السيدات الفضليات،

إنه لا يشك عقل منصف، فضلا عن المؤمن المسلم في أن السيرة العطرة للرسول ﷺ بخصائصها النبوية و خصائصها الإنسانية ستظل محل اهتمام الناس، من الباحثين و الدارسين و الكتاب و المفكرين و المبدعين إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و لا نقصد هنا ما تميز به ﷺ، عن أمته و عن سائر الأنبياء و المرسلين، وإنما نقصد الخصائص التي تظهر مزيته و مكانته عنده به بحيث لا يصح بعد ذكرها و بيانها أن يتبع أو يقتفى أثر غيره ذاته ﷺ، و من يستعرض القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة يقف على نصوص كثيرة تصرح بمكانة رسول الله ﷺ و عظم قدره عند ربه، بما حباه و خصه به و أكرمه من فضائل الكمال و صفات الجمال، مما لم يهبه لغيره من الأنبياء و الرسل، و بما امتدحه به سبحانه و ما أثنى به عليه و ما أظهره على يديه من المعجزات و بما أطلعه عليه من المغيبات!

إن الإنسان قد يستطيع و صف المحسوس، و قد يقترب قليلا أو كثيرا من وصف غير المحسوس؛ لكن هناك إجماعا لدى المسلمين على أن الناس كلهم، بدءا بالصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين عاجزون عن الوصف الكامل الشامل للنبي ﷺ و ما حباه الله سبحانه من كمال الصفات و جمال الميزات.

و لقد وفق الإمام البوصيري في التعبير عن ذلك إنما توفيق عندما قال في همزيته المشهورة :

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء !!

إن هذه الخصائص الإنسانية للنبي الكريم ﷺ ستظل ما تعاقب الليل والنهار نيراسا وضاء للباحثين و الدارسين والعلماء والمفكرين و الكتاب والمبدعين من المسلمين و غير المسلمين، يجلونها للناس بإعجاب وتقدير ليزدادوا حبا له، و قربا منه و رغبة في التشبه به ؛ و تمسكا بسنته ﷺ !.

تاريخ البشرية الطويل لم يعرف شخصا عني الناس بتفاصيل حياته، نقلا وتدوينا مثلما عني المسلمون والمنصفون من غير المسلمين بحياة المصطفى ﷺ و بسيرته الطاهرة ؛ حتى أصبحت حياة هذا النبي الكريم كتابا مفتوحا للإنسانية جمعاء، تهتدي بهديه و تستنير بنوره و تقتدي بسيرته.

أيها السادة الأفاضل،

أيها السيدات الفضليات،

لقد قيل بحق، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه آمن بمحمد الإنسان ولما عرف محمدا النبي المرسل لم يزد ذلك إلا إيمانا وتسليما !.

و هو قول ينطوي على حقيقة جليلة بخصوص الصفات النبوية والصفات الإنسانية للرسول الكريم ﷺ ؛ فأبو بكر أعجب بمحمد الإنسان قبل أن يعرف فيه

النبي المرسل ؛ فقد صاحبه وعرف فيه الرجل الصادق الأمين، وأيقن أن من يصدق الناس القول لا يكذب على الله ؛ لقد رأى فيه جميع صفات الكمال و الجمال التي لم تجتمع لأحد قبله و لا بعده، مما أكدده الوحي بعد بعثته ﷺ إذ قال في حقه المولى عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ ؛ لذلك كله كان موقف أبي بكر من كل ما يتعلق بالرسول الكريم لا يتغير أبداً، التصديق والنصرة دائماً وأبداً مهما يكن الأمر شعاره في ذلك جعلته المشهورة الماثورة عنه رضي الله عنه « إن كان قال فقد صدق » فالمسألة إذن تتعلق بصفاته الإنسانية التي عرف بها قبل بعثته ﷺ ، هذه الصفات التي تشكل محور الأبحاث التي ستقدم في هذا الملتقى المبارك إن شاء الله!!.

فمحمد بن عبد الله عرفه الناس طفلاً و شاباً ثم زوجاً و أباً ثم صهراً وجداً، وعرفوه جاراً و صاحباً و نبياً مرسلأ و إماماً و قاضياً وقائداً؛ فقرأوا فيه في كل حال الإنسان الكامل والنموذج الأمثل!.

فهو ﷺ كزوج كان أحرص خلق الله على إكرام نسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين! . ومع حبه لأصغر زوجاته عائشة كان مثالا للوفاء لأولى زوجاته خديجة ﷺ، وكان يعبر عن هذا الوفاء بقوله و سلوكه ؛ فقد قال عنها ﷺ : « والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي حين كفر بي الناس و صدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ورزقني منها الولد دون غيرها من النساء! ».

هكذا كان وفاء سيد الخلق ﷺ! . و من يعرف معدن الرجل وجوهره و حقيقة شخصيته أكثر من زوجته؟

فهو ﷺ عندما دخل على زوجته خديجة يرتجف بعد أن نزل عليه الوحي في غار حراء، قالت له مطمئنة في ثقة و يقين: «الله يرعانا يا أبا القاسم، أيسري ابن العم و اثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم و تصدق الحديث و تحمل الكل و تقري الضيف و تعين على نوائب الحق! »

و حديث خديجة هذا، ﷺ يذكر بما قاله هرقل لأبي سفيان قبل إسلامه، هل

كنتم تتهمون محمدا قبل أن يقول ما قال ؟.. فقالوا: لا ما جربنا عليه كذبا، فقال هرقل إنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله، وما عودنا التاريخ أن انتصر الكاذب انتصارات باهرة كتب لها البقاء!

وكان ﷺ أرف وأرحم والد بأولاده؛ وأكرم وألطف بالجار، يعطي أروع الأمثلة في الصفح الجميل والحلم والعفو وكرم النفس ومقابلة السيئة بالحسنة؛ وكلنا يعرف قصته ﷺ مع جاره اليهودي الذي كان يمعن في إذايته والإساءة إليه، ولما مرض سأل عنه ﷺ، وذهب إليه في بيته يعودده ويواسيه ويتلطف معه، فحجل ذلك اليهودي من نفسه أمام ذلك الخلق العظيم، وأسلم!

و عمر به ﷺ جنازة فيقف لها، وعندما يخبره أحد الصحابة أنها جنازة يهودي يقول له: أليست نفسا؟.

لقد كانت هذه الخصائص الإنسانية في شخص النبي الكريم ﷺ تنتزع الإعجاب والإكبار من أعدائه وخصومه فكيف بأصحابه وأتباعه من المؤمنين به ؟!

لقد كان يعلم صحابته الكرام رضي الله عنهم كيف يميزون بين الفعل وصاحبه، بين المعصية ومرتكبها كيف أن المؤمن الحق يبغض الفعل القبيح المنكر لكنه لا يبغض الإنسان نفسه صاحب هذا الفعل، بل يشفق عليه ويدعو له بالهداية!

جئى إليه برجل شرب الخمرة وأقاموا عليه الحد، ولما انصرف قال أحد الصحابة لعنة الله عليه ما أكثر ما يؤتى به!. فقال عليه الصلاة والسلام: لا تعينوا عليه الشيطان، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله!

أبيها السادة الأفاضل،

أيتها السيدات الفضليات،

إن هذا الجانب الإنساني المشرق في شخص النبي الكريم ﷺ، سيظل منهلا عذبا يغترف منه الفكر البشري في رقيه وتطوره، وهو ينظر للمثل الإنسانية العليا

والفضائل الأخلاقية السامية و حقوق الإنسان و مبادئ الحرية و العدل و المساواة! فمحمد بن عبد الله ﷺ هو أول من وضع و طبق القاعدة الأساسية الكبرى التي بها يفصل الإنسان بين حق الله سبحانه، و حق المجتمع و حق النفس فهو ﷺ عندما يتعلق الأمر بذاته الشريفة، مما ليست له أدنى علاقة بحق من حقوق الله أو حقوق الأمة، فإنه يكون أعظم الناس حلماً و تسامحاً و ليناً، لم ينتقم يوماً لنفسه بالرغم مما لاقى من ضروب الأذى و صنوف الإساءة؛ ولعل أروع مثال لذلك موقفه من أهل الطائف؛ الذين أغروا به سفهاءهم فأذودوه، فما زاد أن دعا لهم بالهداية والغفران، وموقفه من مشركي مكة بعد الفتح أشهر من أن يحتاج إلى ذكر أو شرح أو تفصيل!

و التواضع صفة ملازمة للحلم؛ إذ الخليم لا يكون إلا متواضعاً، وكذلك كان ﷺ؛ فقد كان يخسف نعله و يرقع ثوبه ويساعد زوجته رضي الله عنهن جميعاً؛ وإذا كان مع أصحابه لم يتميز عنهم بشيء؛ فهو كذلك مع مشركي مكة، كما جاء في القرآن الكريم، ينسب لنفسه ما ينسب إليهم؛ و هو سيد الخلق و حبيب الله المصطفى ﷺ، كل ذلك تواضعاً منه، و تسامياً بأدب الحوار ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١١﴾ قُلْ لَا تَسْتَوُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تَسْتَلُّ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿سآءَ ٢٤-٢٥﴾.

هذا، عندما يتعلق الأمر بشخصه الشريف لكن عندما يتعلق الأمر بحق من حقوق الله سبحانه أو حق من حقوق الأمة، فإنه لم يكن يجامل في ذلك أحداً ولو كان أعز الناس عليه، قال صلوات الله و سلامه عليه: "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

أيها السادة الأفاضل،

أيتها السيدات الفضليات،

إن هذا الملتقى المبارك مناسبة كذلك لنذكر بأنه إذا كان التعصب و الحقد و الجهل يعمي بصائر بعض مرضى العقول و النفوس الذين لا يكاد يخلو منهم مجتمع

بشري، في الغرب و الشرق على حد سواء، و إذا كان التاريخ يعيد نفسه، فإننا نجد اليوم من يحاول مثلما حاول الأولون النيل من هذا النبي الكريم ﷺ، و أنى لهم ذلك؟ و يحاولون الطعن في سيرته الطاهرة الشريفة؛ فإن الباحثين النزهاء و المفكرين الأحرار و المنصفين في كل عصر و جيل، ممن سلمت فطرتهم و لم تتلوث نفوسهم و عقولهم، و ممن يذعنون للحق إذا حصحص قلت إن هؤلاء الأمناء الأقوياء في مواقفهم من الحق و نصرته له قد عبروا و ما يزالون كل بأسلوبه و لغته، عن إعجابهم المنقطع النظير بالنبي محمد ﷺ، بعدما وقفوا على بعض أخلاقه و فضائله و شمائله؛ فبهرتهم فيه صفات الحلم و الصدق و الصبر و السكون و الحياء و المروءة و السخاء و الوفاء و التواضع و الرفق و اللين، و غيرها من الصفات التي كان لها سلطان و أي سلطان على الروح و النفس و القلب و الجوارح جميعا؛ مما حول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية!

لقد وسع و سيع خلقه الكريم ﷺ جميع الناس في كل عصر و جيل لأن شمائله لا تحصى و لا تعد، و لا غرابة في ذلك فقد كان خلقه القرآن، و القرآن لا تنقضي عجائبه كما قال عنه ﷺ.

لقد سجل الفكر الغربي الحديث مواقف عديدة مشرفة للنزهاء المنصفين من الغربيين الذين تحرروا من عقد التعصب و الحقد و الجهل، فأعلنوا في صراحة و شجاعة إعجابهم و تقديرهم للرسول الكريم ﷺ.

من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، المفكر الأديب الشهير برنار شو George Bernard Shaw الذي قال " لقد تثبت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا في الغد القريب، و لقد صُوِّرَ الإسلام خلال القرون الوسطى بأحلك الألوان، إما بسبب الجهل و إما بسبب التعصب الذميم؛ و لقد كانوا يُمرُّونَ في الواقع على كراهية محمد و على كراهية دينه! إن محمدا ينبغي أن يُدعى منقذ الإنسانية، لقد دخل كثير من أبناء قومي في الإسلام، في الوقت الحاضر في أوروبا حتى ليتمكن أن يقال إن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ، و قد تذهب

أوروبا إلى أبعد من ذلك فلا يمضي عليها القرن الواحد والعشرون حتى تكون قد بدأت تستعين به في حل مشاكلها!"

و من هؤلاء المفكرين الأحرار كذلك توماس كارليل Thomas Carlyle الذي تحدث بإعجاب عن النبي محمد ﷺ، في كتابه "الأبطال"، فكان من جملة ما قال: "لقد أصبح من أكبر العار أن يصغي أي إنسان عاقل من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب و إن محمدا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فلو أن الكذب يروح عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا و عبثا إني أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع و لقد كان ابن الصحراء، مستقل الرأي لا يدعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبرا و لا ذليلا، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم و قياصرة الروم لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه وملبسه ومأكله ومشربه وسائر أحواله، وإذا سئل أن يأتي بمعجزة قال: حسبكم الكون... فهو أعظم معجزة".

و لقد نسج على هذا المنوال نفسه الباحث المفكر لين بول Lane -pool عندما قال «إن محمدا كان يتصف بجميع الصفات الحميدة، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تركه هذه الصفات في نفسه من أثر و دون أن يكون هذا الحكم صادرا من غير ميل أو هووى ؛ لقد بلغ من نبه أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مُصَافِحِهِ حتى و لو كان هذا المصافح طفلا صغيرا !»

و من هؤلاء المنصفين كذلك، من المفكرين والعلماء الغربيين ول دورانت Will Durant، مؤلف الموسوعة المعروفة بقصة الحضارة، فقد قال: «و إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في النفوس قلنا إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لمجتمع أُلْقَتْ به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء

و استطاع فعلا أن يصنع في جيل واحد دولة عظيمة و هو ما لم يُدانه فيه أيُّ مصلح آخر في التاريخ !»

و يذهب الكاتب الشهير وليئم مْيُور William Muir إلى أن الخصائص الإنسانية للرسول محمد ﷺ هي التي كانت أكبر عامل في انتشار دعوته ؛ لقد كان هذا النبي الكريم يكره أن يقول : لا، و إذا لم يتمكن من أن يجيب الطالب لسؤاله، فَضَّلَ السكوت على الجواب، و قد قالت عنه زوجته عائشة ؓ إنه ﷺ كان أَشَدَّ حَيَاءً من العذراء في خدرها ؛ و كان إذا ساءه شيء، تَبَيَّنَتْ في أسارير وجهه الشريف أكثر من كلامه، و لم يَمَسَّ أحداً بالضرر أبداً في سبيل الله ؛ وَ يُؤَثِّرُ عنه أنه لم يكن يمتنع عن إجابة دعوة إلى بيت مهما يكن رَبُّ البيت، و كانت له تلك الخصلة النادرة التي تجعل كلاً من أصحابه يظن أنه المفضل المختار !

و يستوقفنا هنا أيضا ما كتبه الأستاذ ريكورْدُ ألفاريزُ كوستيل، بعد إسلامه، فقد قال عن الرسول ﷺ : إن إعجابي بالنبي محمد ﷺ فاق الخيال، فقد أيقنت في بداية دراستي لشخصية هذا النبي المختار أن الدين الإسلامي هو خير الأديان و أن سيدنا محمداً كليل أن يجذب بخلقهِ الكريم كل النفوس والعقول بمذاهبها المختلفة وأجناسها المتعددة و أن محمداً النبي المختار شخصية فريدة من نوعها في هذا الوجود !

وقال الكونتُ دي كاستري Comte de Castries المسيحي، إن الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا (يعني القرن العشرين) من المسيحيين وغيرهم إنما هم من الخاصة، سواء أكانوا من الهيئات الاجتماعية الأوروبية أو الأمريكية، كما أن إخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض الشخصية !

لقد نال محمد تقدير العالم أجمع، و تقدير أعدائه بشكل خاص، عندما ضرب للناس أروع مثل في مكارم الأخلاق، و أطلق سراح عشرة آلاف أسير كانوا في يوم من الأيام يعملون على قتله، و الفتك به و إبراده هو وأصحابه مورد الهلاك.

أيها السادة الأفاضل،

أيها السيدات الفضليات،

إن من اهتدى و أذعن للحق فإنما يهتدي لنفسه، و من ضل و جحد و أنكر فإنما يضل عليها، فالله سبحانه غني عن العالمين.

و إذن فمهما يكن من أمر بني البشر، في الغرب و الشرق، في كل عصر و جيل؛ و مهما تكن مواقفهم من هذا النبي الكريم المبعوث، حبه للملأ، فإن هناك حقيقة ستظل قائمة بارزة هي ثقل مسؤولية المسلمين في معرفتهم و فهمهم بشخصية رسول الله ﷺ و بيان خصائصه النبوية و الإنسانية و فضائله و شمائله؛ و ما من شك في أن خير تعريف به ﷺ إنما هو اتباع سنته و التحلي بأخلاقه؛ و تحييد ذلك كله في السلوك الفردي و الجماعي، و إقامة كيان حضاري يكون في مستوى حير أمة أخرجت للناس؛ مع العلم أن هذه الخيرية تكون بالريادة الحضارية لا بالوراثة!

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.

